الباب السابع

ضوابط الخطاب الاعلامى الاسلامى

obeikandl.com

obeikandl.com

كيف يخاطب المسلمون وسائل الإعلام؟

أصبحت الآلة الإعلامية في ربيع الثورات العربية صانعة الرؤساء والدول، هادمة للإمبراطوريات والقوى، متفوقة على الآلة الحربية في تأثيرها على مجريات الأحداث، لاسيما بعد انتشار القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي ولتعاظم أهمية هذه الآلة تحتم على المسلمين أن يفقهوا استخدامها على وجهٍ يحقّق لهم أهدافهم، وأن يوجدوا بشكل صحيح على الخريطة الإعلامية بعد سنوات من استحواذ تيارات التغريب على هذه القنوات ذات الصلة المباشرة بالتغيير والتوجيه وصناعة الرأي العام.

ضوابط الخطاب الإعلامى للمسلمين:

الحركات الإسلامية تمر بمرحلة غاية في الدقة، تَستلزم وضع أطرِ تضبط خطابها، ومن هذه الضوابط:

١- الالتزام بالتصوُّر الإسلامي:

إعلام المسلمين لابد وأن يلتزم في محتواه ووسائله وفي كل ما ينشره أو يذيعه أو يَعرضه على الناس بالتصوُّر الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمدة أساساً من القرآن الكريم وصحيح السُّنَّة، وما ارتضته الأُمَّة من مصادر التشريع وهذا ما يعني:

- عدم الخوض في الثوابت العقدية والدينية.

- تجنُّب الاجتهاد في المعلوم من الدين بالضرورة، وما أجمع عليه الثقات، واتفق عليه جمهور المسلمين.

- البعد عما يضعف الأمة، ويفت في عَضُدها، فالإعلام الإسلامي يقوِّي قلوبَ الأمة، ويثبِّت جأشَها، ويصِلها بربها، ويرغِّبها في إسلامها.

٢- تمثل نظرية المسؤولية الاجتماعية:

نظرية المسؤولية الاجتماعية، هي الأقرب لتمثيل الفكرة الإسلامية إعلامياً، والأكثر تعبيرًا عن مفهوم الإعلام، الذي يحمل رسالة، وملتزم أخلاقيًّا وهو ما يسعى المسلمون لتطبيقه في عالم الواقع، وهي كذلك النظرية التي يمكن من خلالها تحقيق الصالح العام، ولجم طُغيان الأهواء الفردية.

فالإعلام الإسلامي إذا كانت قاعدته الحرية، فالمسؤولية هي قمته، وهي خاصية يمتاز بها الإعلام الإسلامي دون الإعلام الغربي الذي يطلق للحرية العِنان، مما ينتج عنه التفريط، وبها أصبح الإعلام الغربي إعلاماً إباحيًّا وفاسدًا، والإعلام الإسلامي يتوسط ويتمثل التوازن.

٣- يستهدف بناء الإنسان:

لأن الإنسان هو الهدف والغاية، وأي استثمار يُغفل الإنسان ويتجاهل عقله،استثمار لا قيمة له، ولا جدوى من ورائه؛ لأن هؤلاء البشر هم المكون الأساس في بناء الأمم وهذا يستلزم:

- الاعتماد على الأسلوب الموضوعي، القائم على التحليل والتأمُّل، واتخاذ كافة الوسائل التي تنمي ملكة التفكير لدى الإنسان، الذي يجب أن تتوجه إليه بالإقناع،لا أن تجره جراً بواسطة الغرائز، والعواطف، والانفعالات.

- تزويد الجماهير المسلمة وغيرها بحقائق الإسلام، والقضاء على المعتقدات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي تسود أغلب دول العالم عن الإسلام والمسلمين.

٤- التوجه إلى خطاب الناس:

ونعني استخدام لغة تُخاطب الجميع، فلا بد أن يستقر في وعي المسلمين أن رسالتهم موجهة إلى كل الناس، وأنه من الضروري المشاركة بحضارتنا من جديد في صُنع التاريخ وترشيد سيرته وهذا ما يفرض على المسلمين الالتزام في خطابهم بالآتي:

- الاهتمام بالشأن العام والخروج من الذات الإقليمية للتواصل مع الآخرين، مع الحفاظ على الهُوية الإسلامية.

• تجنُّب المبالغة في الحديث بعاطفة فقط؛ حيث يفترض مخاطبة جمهور الناس أن نوصل معلومة مقنعة تحترم عقول الناس.

• إعطاء الثقل لنقل الخبر وتحليله والاهتمام بالسياسة الخارجية والعالمية.

٥- مراعاة الأولويات:

أن يكون فقه الأولويات عنصرًا رئيسًا في التوجهات والقرارات واختيار البدائل، فلا يتم الاشتغال بالفروع عن الأصول، ولا يتم الإصرار على أمرٍ تغلُب مضارُّه على فوائده، حتى لو كان في أصله صحيحاً.

فبعض المسلمين ما زالوا يُغردون خارج السرب، ويتحدثون في قضايا تاريخية، ويتجاهلون قضايا الساعة، وكان الأجدى تقديم أنفسهم عبر ملفات أقل التباساً وأكثر توافقاً مع المجتمع.

٦- مراعاة المآلات وردود الأفعال:

خصوصاً أن وسائل الإعلام المعادية غالبة، وهي تبحث عن مثالب المسلمين؛ سواء وجدت، أم لم توجد، والغالب عليها اتهامهم بالتعسير والتضييق على الناس، والافتقار إلى المرونة في التعايش مع المخالفين، فلا يجب أن نساعد هذه الوسائل بما يروج دعاياتها المغرضة.

٧- تبني المعايير الاحترافية والمهنية:

ونقصد بها التعامل مع مفردات العمل السياسي، وما يتصل به من الإعلام المسيس بشكل احترافي ورصين، مع ضرورة حُسن اختيار مَن يتحدث باسم الجماعات والأحزاب الإسلامية، يما يحقق الفصل بين تصوُّرات البعض، وبين مواقف التوافُق المراد الإعلام عنها.

محاذير الخطاب الإعلامي للمسلمين:

هناك عدة محاذير يجدر بالعاملين في الحقل الإعلامي من المسلمين مراعاتها، وهي:

١- الاكتفاء بردود الأفعال:

وهذا الأمر قد يجعل إعلام المسلمين يتصف بصفات، منها:

١- السلبية: إذ يظلُّ الإعلام الإسلامي معتمدًا في وجوده على ما يصدر من الآخر؛ حتى يتحرك، ولا يستطيع القيام بالحركة الأولى.

٢- الاتكالية: إذ قد يصبح الترهل عبر الأزمان، وعدم القدرة على الخلق والإبداع،هو ما يميز ذلك الإعلام؛ إذ يحتاج إلى المحفز الوقائي؛ حتى يستطيع العمل، وبذا يصبح دفاعياً في وجوده وغايته.

• فِقدان الترسيخ: حيث يظل الهمّ الشاغل لهذا الإعلام هو الدفاع، لا التبشير، أو الترسيخ.

• فِقدان الجرأة الأدبية: حيث يصبح منتظراً، لا يستطيع في أي حال من الأحوال اختراق الآخر، مكتفيًا بما يصدر عنه ؛ حتى يستطيع إيجاد الهوية الخاصة به.

• التبعية: وبذا يصبح غير فعال؛ لأنه أصبح إعلامًا مهجنًا، يعتمد في تحريك أدواته وخطابه على الإبداع الأول.

٢- سيطرة الوعاظ والتعامل مع السياسة بمنطق الفتوى:

من أكبر المحاذير التي يجب على المسلمين تجنُّبها فيما يخص قضية الخطاب الإعلامي هي سيطرة الوعاظ، وقلة عدد المفكرين والمثقفين فيه فالقضايا السياسية الترجيح فيها قائم على أساس المصلحة، وهذه المصلحة يحددها أهل الاختصاص، وأهل الاختصاص في مجال السياسة هم السياسيون.

٣- إغفال الموجات المتعاقبة مِن الكذب:

فقد يغفل بعض المسلمين الموجات المتعاقبة من الكذب، التي مع كثرة ترددها يخشى من اقتناع الجمهور بها، كما أن هناك العديد من الدراسات التي تتحدث عن وجود مناطق رمادية أو أسئلة غير مجاب

عنها في خطاب الحركات الإسلامية، تتعلق بمدى قدرتهم على قبول النقد،ومدى التزامهم بالديمقراطية، وبسلمية الممارسة السياسية، وقبول التعدُّد والقدرة على بناء توافق اجتماعي، والعلاقة بين الدعوة والسياسة في نشاطهم.

وعليه يجب على الحركات الإسلامية السعي إلى إجلاء الغموض، والإجابة على التساؤلات غير المجاب عنها، بما يضمن ليس فقط إزالة الالتباس والغموض، ولكن أيضاً الاستجابة لتطلُّعات الجمهور، وإزالة لمخاوفهم المرتبطة بحقيقة نوايا تيار الإسلام السياسي، وأن يكسبوا ثِقة الشارع بتفنيدِ تلك الموجات المتعاقبة مِن الكذب.

٤- المبالغة في الحديث عن الانتصارات واستفزاز الطرف الآخر:فمفهوم المعركة يعني وجود طرف منتصر يفرض شروطه على الطرف المهزوم، وبالتالي نصبح أمام ديمقراطية من مرة واحدة، كما يحاول البعض إلصاق ذلك بالمسلمين.

ويرتبط بذلك ضرورة تجنُّب المصطلحات التي يمكن أن تستفزَّ الأطراف الأخرى، وتغليب مصطلحات تعمل على لَمِّ الشمل، وتجنب الوقوع في براثن الخطاب المثير للمخاوف والهلَع؛ حيث يفترض في خطاب المسلمين التحدث بصيغة تُطمئن الجميع، وعليهم أن يقنعوا

شعوبهم أولاً ثم العالم الغربي أن الإسلام غير مخيف كما تتصوره الدوائر الغربية، بل هو أكبر ضمان لحقوق الإنسان والأقليات.

٥- الوقوع في فخاخ الإعلام المعادي:

وما يجب التحرُّز منه هو التصريحُ للإعلام أو في المؤتمرات بما يُسهِّل على الإعلام المعادي التشهير بالمسلمين، فهم خبراء في قَلْبَ الحقائق واجتزاء النص، وتسريب الكذبة من خلال سؤال يبدو بريئًا؛ لأن كل قضية الآن يمكن تسييسها أو وضعها في إطار سياسي معين، يحاول بها البعض الإساءة إلى المسلمين، والبراءة الشديدة تدفع رموز هذه الحركات إلى المبادرة بالإجابة العفوية على أي سؤال أو استفزاز فكري بشكل مباشر وصارم، رغم أنهم غير ملزمين بذلك، ولا يوجد من يضطر للإجابة على أي سؤال.

أخطاء الإعلام الإسلامي التقليدي:

شهدت فترة ما بعد الثورة تنامي حضور الحركات الإسلامية على شاشات الفضائيات في العالمين العربي والإسلامي، وارتبط هذا التنامي بالدور المتصاعد للحركات الإسلامية، وما تحقّقه من تقدُّم في عديد من الاستحقاقات السياسية، وما يرتبط بذلك من جدلٍ على أكثر من صعيدٍ، وفي أكثر من دائرة.

وتبقى المشكلة أن مناخ القمع المتتالي لم يسمح من قبلُ بتطور الخطاب الإعلامي الخاص بالحركات الإسلامية، فلم تتم دراسته بطُرق عملية في إطار عام من الحرية، وهو الأمر الذي ألقى بظلال سلبية على خطاب تلك الحركات وممارستها الإعلامية.

وفي محاولة للوقوف على أداء المسلمين في الإعلام، نرصد الأخطاء التي وقت فيها تلك الحركات،مقسمة على الخريطة التقليدية للإسلاميين، على الوجه التالي:

١ ـ هيمنة الطابع المحلي والشخصي:

غالب وسائل الإعلام المحسوبة على المسلمين لم تستطع أن تتخلص من الطابع المحلي للبلد الذي تبث منه، خصوصاً الاهتمام بالأحداث القُطرية، على حساب قضايا الأمة والأحداث العالمية، كما ورد هيمنة الطابع الشخصي لمالكيها، أو القائمين عليها، فتؤثر على السمة العامة لبرامجها، وعلى مستواها المهني.

في حين أن عالمية رسالة الإسلام تقتضي أن تعرض وسائل الإعلام لعلاج القضايا ذات الطبيعة العالمية، التي تؤثر في البشرية كلها؛ مثل: قضايا العولمة وصراع الحضارات؛ لتثبت دائماً للعالم أن تلك الحركات جزء من مليارات البشر الذين يعيشون في هذا العالم، وأن من حقها أن

تتبادل وجهات النظر،وأن تقدم للعالم خير ما لديها في المشكلات المتباينة من منظور إسلامي.

٢- غلبة السمات الحزبية:

ونقصد بذلك تخليق خلافات من الفراغ لا تصب أبدًا في الصالح العام؛ حيث تقع غالب الحركات الإسلامية في فخ إنتاج صراعات جديدة، وتنقل خلافها على الهواء بعد أن كان سجين الكتب والمقالات؛ حيث يسعى كل تيار إلى إثبات أنه الخطاب الوحيد المعبر عن الإسلام.

فمجال العمل الإعلامي الإسلامي، لم يصل بعدُ إلى التغلب على التعصب الحزبي، أو السمات الحزبية، فالضيف غالبًا، إلا في بعض الحالات أو النماذج، يكون واجهة لحزبه أو تياره، مظهرًا لغيره من التيارات، أو الحركات بصورة التطرف، محاولاً ترويج رسالته على حساب التيارات الأخرى.

٣- الافتقار إلى عناصر التميز والاكتفاء بالتقليد:

غالب الحركات الإسلامية في سعي دؤوب لاستخدم الأدوات الحديثة، وتتسابق فيما بينها على اقتناء أكثر الأجهزة والوسائل جِدَّة، وهذا السعي الدؤوب للوجود الإعلامي لم ترافقه مساع لإنتاج خطاب إعلامي حديث ومتميز، بل كان التكرار والتقليد هو السمة العامة للمادة الإعلامية

المطروحة، وربما يعود ذلك إلى قناعة باتت راسخة عند الكثير من المسلمين اليوم، بمن فيهم أو على رأسهم المنادون بضرورة التجديد، بأن التجديد والمعاصرة يأتيان من خلال تحديث الأُطر والأدوات والمظاهر المستخدمة، وأن الفرق بين الجديد والقديم، وبين الحداثة والتقليد هو أن الأولى تقبل تجديد الأدوات والآلات والمظاهر، بينما الثانية ترفضها وتتهيَّب منها.

فالجماعة التي تضع لها مواقع على الإنترنت وتبث أفكارها عبر الفضاء الحر، تعتبر تجديدية، بينما الجماعة التي تُصِر على بث الأشرطة،أولاتزال تعتمد على المنشورات الورق لبث أفكارها، والتعبير عنها، متخلفة وتقليديَّة، بغض النظر عن عمق أو ضآلة المادة الإعلامية المطروحة، والثقافة المراد إيصالها إلى الرأي العام.

وعند التتبُّع سنجد أن أغلب المشاريع الإعلامية الإسلامية من صحف ومجلات وإنترنت، إلى إذاعات وقنوات فضائية، لم تقدم مادة جديدة ومقنعة، إنما عملت على إعادة إنتاج خطابها القديم بحلة جديدة، وتقنيات حديثة، وخاصمت عن عمد في بعض الأحيان، وتجاهلت في أحيان أخرى للدراما التلفزيونية والسينما.

٤ـ تشتَّت أولويات الخطاب الإعلامي:

من الواضح تضارُب أجندة الحركات الإسلامية وعدم حسمها، واستمرار التجاذب الحادث بين أولوية الديني العقدي والسياسي الاجتماعي، ورغم ذلك فإن محاولة إيجاد معالجة جادة لهذا التجاذب، أو السعي للخروج بصيغ متوازنة لإزالة هذا التزاحم، لا تزال محدودة للغاية.

ويعود السبب في ذلك إلى إهمال الشأن الفكري والسياسي الاجتماعي داخل أغلب الجماعات الإسلامية، وتقديم الجوانب الأخرى عليه.

٥- سطحية وعدم وضوح الرؤية:

اتَّسم أداء غالب الحركات الإسلامية الإعلامي بعدم وضوح المواقف، وتشتت الآراء، فمرة هي أقرب إلى الاعتدال والوسطية، ومرة أقرب إلى التشنج والعصبية، ومرة خطابها متلبس بالوطنية، وأخرى غارق في المذهبية؛ حيث أن المستهدف في خطابها الإعلامي غير محدد المعالم، والهدف من مشروعها الإعلامي غير واضح الركائز، ولا يتَّكئ على رؤية علمية، والنتيجة أن عدداً كبيراً من هذه المشاريع تعاني فعلاً من غياب المادة الصالحة للعرض، التي ينبغي أن تصب في خانة تنمية الإنسان أولاً وأخيراً.

فالمشاهد أن الوسائل الإعلامية في يد المسلمين تُصر على طرح القضايا دون عمق، وتعالج القضايا الاجتماعية والسياسية بنظريات قديمة، وهو

أمر مثير للاهتمام إذا قارنا هذا الأداء بمستوى الحضور الإسلامي في الشارع الذي يفرض عليها صياغة خطاب إعلامي جديد، يتَّسم بالوضوح والتركيز على القضايا الجوهرية.

٦- الافتقار إلى الأدوات المكملة:

فالتيارات التي يغلب عليها العمل السياسي، تكون غالباً مفتقرة إلى التأصيل الشرعي الجيد، والتيارات التي يغلب عليها التوجه العلمي الشرعي، يغلب عليها الضَّعف في المجالات السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، والتيارات التي يغلب عليها التوجه الدعوي تفتقر أيضاً إلى التأصيل الشرعي والبعد السياسي.

وليس هناك تنسيق أو تعاون أو تكاملٍ في الأدوار بين هذه الحركات وبعضها،وهو الأمر الذي أظهر تبايناً واضطراباً كبيراً في الإعلام المحسوب على المسلمين، يؤثر في قدرته على الوصول للجمهور بصورة صحيحة تحقّق الأهداف المرجوة.

٧- غلبة الطابع المثالي:

تعاظم الفرق بين الواقع المقدم في خطاب بعض الحركات الإسلامية، خاصة السلفية منها، والواقع الذي يعيشه المشاهد؛ مما ينشأ عنه في الغالب إما العزلة والانكفاء، أو العنف في بعض الحالات، أو صعوبة

التعامل مع الواقع لصعوبة إصلاحه، فالعقل الباطن قد اختزل صوراً مثالية تشكَّلت فى برامج السيرة التي تعرض سير السلف وشجاعتهم بغير الطبيعة البشرية التي تخطئ وتُصيب، ومن ثم يصعُب على الجمهور التطبُّع مع بشرية الذين في واقعهم، أو تمثل تلك النماذج، وهو ما يعني غياب عشرات الساعات من البث دون فائدة حقيقة.

٨- تجنب القضايا الاجتماعية والتنموية:

يعد اقتراب التجاهل هو السمة الغالبة لخطاب التيار السلفي على وجه الخصوص،فوسائل إعلامها تكاد تخلو من الإشارة إلى المجال الاقتصادي والمشكلات الاقتصادية، فالاهتمام منصب على علم العقيدة والحديث والعبادات، دون الخوض في القضايا الاقتصادية على اعتبار أن إصلاح عقيدة الفرد المسلم على رأس الأولويات، ثم يأتي في المرتبة الثانية التزام الشعائر الدينية والهدي النبوي الظاهر، أما أحوال الأمة ومشكلاتها الاقتصادية، فستحل تلقائياً بمجرد إصلاح العقيدة والعبادة.

أما اقتراب ما يسميه البعض بالاقتراب العلماني من حيث كونه يفصل بين الدين والسياسة والاقتصاد فنلحظه في خطاب بعض علماء السلفية المعاصرة الذين يقصرون اهتمامهم على تذكير الفرد بأهمية الزهد، وما كان عليه السلف الصالح من زهد في الدنيا واستغناء عنها، فتتعدد الأشرطة التي تتناول نعمة الفقر وفضله، وكيف كان الرسول وصحابته

يعيشون في فقر مُدقع، لكنهم مع هذا فتحوا الدنيا ونشروا الإسلام، وأحاديث تتناول ذمَّ الترف والوعيد للأغنياء.

ولا يخفى على أحد ما لهذا من تداعيات خطيرة، تلقي الوهن في نفوس عامة المسلمين، فلا حاجة للتنمية ولا لإيجاد سبل لحل المشكلات الاقتصادية المعاصرة؛ لأن الدنيا زائلة والآخرة خير وأبقى، والفقير أفضل عند الله من الغني.

٩- غموض المواقف:

غموض الموقف أثناء الثورة، فرغم أن بعض السلفيين شاركوا كأفراد في المظاهرات، فإن رموز هذا التيار تشتَّت مواقفهم، فالغالبية بقيت على موقفها التقليدي الرافض للمظاهرات، باعتبارها خروجاً على الحاكم، وقد خرج بعض هؤلاء على التليفزيون الحكومي أثناء الثورة؛ لينتقد المتظاهرات والمتظاهرين، في حين انحاز البعض لمطالب المتظاهرين، إلا أنه لم يصل حد تأييد مطلب تغيير النظام، كما أن هناك من التزم الصمت التام.

واستمر الغموض حول بعض القضايا التي تتداول في الساحة؛ مما ترك للإعلام المعادي الفرصة لتكييف خطاب خاص، وفرضه فرضاً على التيار السلفي، الذي ينقلب حينها ليدافع عن نفسه ويبرئها، وكان

الأحرى به أن يُبادر ويزيل الغموض الذي يكتنف موقفه حيال القضايا العالقة.

١٠- السقوط في فخاخ الإعلام:

فمع أن السلمين يدركون أن القطاع الأكبر من الإعلام لا يتعاطف معهم، بل ويتصيد لهم الأخطاء، إلا أنهم وقعوا في العديد من الفخاخ التي نُصبت لهم، فمثلاً أحد المشايخ سئل في لقاء عن موقفه من الأهرامات والآثار الفرعونية، فاقترح تغطيتها بساتر من البلاستيك، معتبرًا ذلك موقفًا متقدماً؛ لأنه لم يطالب بهدْمها، لكنه في الحقيقة كان يقدم فرصة سانحة للإعلام؛ كي يسخر ويهاجم السلفيين، وتكرر الأمر مع فخاخ أخرى عن الولاء والبراء، وهدم الأضرحة.

١١- الاشتباك مع المهاترات والانزلاق لمعارك وهمية:

ويرتبط بما سبق الانزلاق لمعارك وهميَّة، فالحديث عن تغيير المادة الثانية من الدستور، لم يكن سوى معركة مفتعلة، خاضها المسلمون بكامل ثِقلهم، رغم أنه لم يكن هناك أي اقتراب من المادة تعديلاً أو إلغاءً، كما روَّج البعض.

ورغم أن التعديلات الدستورية التي طُرحت للاستفتاء لم تتضمن أي إشارة لهذه المادة، فإن البعض واصل المعركة، واعتبر الاستفتاء معركة

على هُوية مصر، ووظفت مئات المنابر من أجل الدعوة لتأييد التعديلات، وصدرت فتاوى توجب هذا التأييد.

١٢- تغليب المنحى الثوري والطائفي:

الحركات الإسلامية المسلحة التي تعاني أساساً من انحسار قواعدها الشعبية، اتَّسم ظهورها الإعلامي بمحاولة لفت الانتباه، فاتخذت منحى الإثارة الطائفية والمذهبية، ويمكن رصد ارتفاع حدة التوتر المذهبي جراء كثرة الرسائل الطائفية التي تبث من قِبَل أنصار هذا التيار، والدور الذي لعِبته الوسائل المحسوبة على هذا التيار في تأجيج الفتنة المذهبية.

مضمون الخطاب الاعلامى الاسلامى:

خطاب الحركات الإسلامية يركز على عدة جوانب:

١- أن يكون الخطاب الإعلامي متسامحاً مجمعاً، لا تصادميًّا مُنفرًا.

٢- أن يكون مزيلاً للشبهات؛ سواء منها التي تتعرض للإسلام كمنهج، أو تلك الشبهات التي تساهم في تشويه صورة المسلمين.

٣- التركيز على التوعية العامة للناس لكثير من المفاهيم المختلطة، كمفهوم الدولة الإسلامية، وكيف أنها تختلف تماماً عن الدولة الثيوقراطية، ومفهوم الجهاد الإسلامي، وبيان دوافعه في الإسلام.

٤- أن يكون الخطاب مطمئنًا؛ كشرح موقف الإسلام من النصارى، وبيان حرية الاعتقاد في الإسلام، وأنه لا إكراه في الدين، وأن أكثر مخاوفهم إنما تنتج من سوء فهم للإسلام، أو من سوء عرضٍ لمفاهيم الإسلام.

٥- التركيز على القضايا ذات البعد الجماهيري التي تَحظى باهتمام شعبي قوي، وأن يَبتعد الخطاب عن القضايا التي تَظهر للناس بالمظهر الفئوي.

٦- أن يكون شاملاً لكافة مناحي الحياة ومجالاتها، وأن يكون قادرًا على ترسيخ قيمة الشمول، وأنه جاء لسعادة الفرد في كافة مناحي الحياة.

٧- أن يكون عالِمًا بمتطلبات العصر وتطبيقات المرحلة، ويتبنَّى هموم الأمة، ويشعر رجل الشارع بأن من يتحدث يَملِك حلاً إسلامياً عمليًّا لا مجرد نظريات.

<u>ركائز الخطاب الإسلامي المعاصر</u>

يستحوذ الخطاب الإسلامي المعاصر اليوم على عقول النخب المثقفة والسياسيين والمفكرين والعلماء،فتعقد المؤتمرات، وتنشر الأبحاث، وتدور المناقشات تحت شعار النهوض بالخطاب الإسلامي المعاصر والارتقاء به ليواكب متطلبات الحياة الحديثة، ويتماشى مع روح العصر، ويتجاوز السلبيات التي حالت دون أن يتبوأ الصدارة والريادة في شتى ميادين الحياة.

إن المتتبع لما يصدر من أبحاث يخلص إلى وجود طرفين يعملان في هذا المجال، أحدهما مخلص نزيه غيور يتطلع إلى الارتقاء بالخطاب الإسلامي المعاصر بقصد مواجهة الحملة الفكرية الشرسة التي يقودها الغرب ضد أفكار الإسلام وأحكامه، مع الحفاظ على تميّز الإسلام، ورفض التنازل عن أي جزئية دلّ الدليل الشرعي على صحتها، كما يسعى هؤلاء إلى إبراز عظمة أحكام الإسلام وسمو عقيدته، إلا أن هذا الطرف يتعرض لضغوط شديدة للحيلولة دون ظهوره وانتشاره عبر وسائل الإعلام أو أي منبر أما الطرف الآخر فهو على النقيض، حيث يسعى أربابه إلى ابتداع خطاب إسلامي معاصر يتماشى وأذواق الحكام، وينسجم مع تطلّعاتهم، ولا يصطدم مع الهيمنة الغربية فكرياً وسياسياً، وبالتالي انتهج أنصاره سبل تأويل النصوص، ولي أعناق الأدلة، والإتيان بقواعد قالوا إنها أصولية، لكنها تفتقر إلى الدليل أو حتى إلى شبهة الدليل، وقد سُخّرت وسائل الإعلام بجميع أشكالها لهذا الطرف طمعاً بانتصاره بحبل من الأنظمة وحبل من وسائل الإعلام.

فتجديد الخطاب الديني، والنهوض بالخطاب الديني المعاصر، وسلبيات الخطاب الإسلامي المعاصر، كل هذه العناوين وما شابهها تجمع على أن الخطاب الإسلامي يحتاج إلى طرح أفكار ومعالجات ليتصدر موقعه الريادي، ويوجه العقول سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً بالشكل الذي يريده كل طرف من الطرفين المتصدرين والموجهين لهذا الخطاب.

والراصد لفعاليات الطرف الثاني من لقاءات وحوارات ومؤتمرات يخلص إلى أن الجهود تنصبّ على ثلاث ركائز أساسية تستند عليها الأهداف، وتنكشف بها الغايات، فالخطاب الإسلامي المعاصر حسب أولويات البحث عندهم يشمل المباشر للخطاب أي العالم أو الداعية وصيغة الخطاب ومادته، وأخيراً يشمل المتلقي للخطاب.

وبما أن المباشر للخطاب هو ركيزة هامّة من ركائز الخطاب الديني فهم يشترطون حصوله على شهادة في العلوم الشرعية من جامعة معتبرة أو معهد معترف به، ناهيك عن ضرورة عقد دورات التأهيل والتوجيه لهؤلاء الدعاة، وبالتالي يتم اختزال الدعاة في حشد من الموظفين، يسهل انقيادهم، ويهون تطويعهم والذي يمهّد طريقهم رغم اعوجاجها، أن النخبة المتميزة من الطلاب المتفوقين الحاصلين على أعلى الدرجات في معظم البلاد الإسلامية تتوجه لدراسة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا بدل إقبالها على دراسة العلوم الشرعية أما الخطر الكامن في هذا المنهج والبلاء المستتر بعباءة هذه السياسة فيمكن تلخيصه في:

أولاً: منع حملة الدعوة المخلصين من مخاطبة الناس جماهيرياً، والحيلولة دون اعتلائهم المنابر، أو بروزهم عبر وسائل الإعلام.

ثانياً: جعل الخطاب الديني مقصوراً على المُضمون ولاؤهم بالوظيفة، ويتيسر تطويع ألسنتهم بالعلاوة.

ثالثاً:حصر الخطاب الديني في حملة الشهادات الذين تلقوا العلوم الشرعية كمعلومات نظرية، ولم يتلقوها تلقياً فكرياً كمفاهيم تؤثر في السلوك وتحدث طاقة للاندفاع.

رابعاً: إعطاء مسوّغ قانوني لاعتقال ومحاسبة كل مسلم غيور يريد أن يصدع بالحق أمام جمهرة من الناس آمراً بالمعروف أو ناهياً عن منكر.

خامساً: محاولة سلب الأحكام الشرعية قوتها وصدقها، وإرجاف الأباطيل في صحتها وقوة أدلتها إذا لم تكن صادرة عن المجمع الفقهي أو ما شاكله من المؤسسات التي لا تُعنى إلا بالجزئيات، كزواج المسيار وحكم التدخين، ولا تمس حياة الأمة، ولا تعالج قضاياها المصيرية، وإذا ما تعرضت لحياة الأمة بتوجيه معين فإن رائحة مداهنة الحكام المنبعثة منها تظهر قبح السرائر وتفضح خبثها.

ولقد استثمرت الأنظمة التي تسوس المسلمين بغير ما أنزل الله ذلك أسوأ استثمار، واستغلت سذاجة بعض الداعين إليه وكيد الآخرين أقبح استغلال، حتى وصل الأمر ببعضها إلى انتهاج سياسة يتمخض عنها أن يأخذ خطيب الجمعة الخطبة جاهزة، ولا يتعدى دوره على المنبر دور تلميذٍ يسمِّع الدرس أمام بقية التلاميذ، والويل له إن بدّل كلمة أو أضاف جملة، حتى ولو كانت آية أو حديث.

وما نراه عبر الفضائيات، وما نسمعه عبر الإذاعات، من التسبيح بحمد الحاكم والدعاء له، رغم ما سطره هذا الحاكم أو ذاك من صحائف

سوداء في تاريخ هذه الأمة إلا غيض من فيض لدعائم الخطاب الإسلامي التي يريدون، وملامح الدعاة والعلماء التي ينشدون، إلى درجة عدم تمييزهم ما إذا كان حكام المسلمين اليوم خائفين أم خائنين.

أما الركيزة الثانية من ركائز الخطاب الإسلامي المعاصر والمتعلقة بصيغة الخطاب ومادته، فقد أصّل لها هؤلاء القوم أصولاً هي أوهن من بيوت العنكبوت كفقه الواقع وفقه الموازنات واستدلوا بقتل الغلام وخرق السفينة على ما ذهبوا إليه، فجعلوه أساساً ثم بنوا عليه، مع أن أصل الفعل حرام لا يجوز لمسلم أن يباشره، فكيف له أن يبني عليه غيره أو يستنبط منه حكماً دونه أو فوقه، كما استندوا على غير ذلك من فقه المصالح، وردّوه إلى الشاطبي افتراءً عليه، وما إصدار الفتاوى التي تتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كإباحة التعامل بالربا للشركات التي يملكها مسلمون للتحكم بعجلة الاقتصاد من الأتقياء بدل الكفار والفساق، أو السماح للطالبة المسلمة أن تنزع الخمار عن رأسها داخل الجامعة التي تمنع ارتداءه، كما هي الحال في تونس، موازنة بين ما ينشأ عن ولوج الجامعة من العلم وما يترتب عن الانقطاع من جهل، إلا أمثلة حية لمدى جرأة هؤلاء على أحكام الله.

أما مكمن الداء وسر البلاء في هذا المنهج فيمكن تلخيصه فيما يلي:

أولاً: إصدار فتاوى تتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وإلباس هذه الفتاوى لباس الإسلام؛ وبذلك يسهل على البسطاء أخذها،

فيصير حالهم كحال أهل الكتاب الذين قال الله فيهم: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) .

ثانياً: إيهام الأمة شرعية الركون إلى الظالمين، ووجوب طاعة أولي الأمر منهم حسب تعبير علماء السلاطين، رغم ظهور الكفر البواح، وبالتالي تبقى الأنظمة في مأمن من الاجتثاث، ومنعة من الاستئصال.
ثالثاً: إجهاض أي عمل مخلص لاستئناف الحياة الإسلامية، والتنفير من حملة الدعوة العاملين لإعادة الحكم بما أنزل الله.

رابعاً: ترويج سياسة قبول الآخر، واحترام الديانات الأخرى -أي احترام الكفر وترك حركات التنصير والمؤسسات الملوثة تمارس نشاطها دون الدخول معها في صراع فكري، لتجد الطريق الممهدة للدخول، والتربة الخصبة للنمو.

هذه بعض المخاطر المترتبة على ما يرمي إليه دعاة النهوض بالخطاب الإسلامي المعاصر، وما ذلك إلا غيض من فيض لما جرّوه من ويلات، ولما أرسوه من دعائم للأنظمة الجاهلية والحكومات.

أما الركيزة الثالثة من ركائز الخطاب الإسلامي عندهم وهي متلقي الخطاب، فإن كان الخطاب موجهاً للمسلمين في البلاد التي يدين أهلها بالإسلام، فإنه لا يعدو كونه إبر تخدير، لتبقى هذه الشعوب تستمرئ الذل وتستعذب الهوان، وإن كان للمسلمين الذي يعيشون في بلاد الغرب، فإن سياسة الخطاب هنا مبنية على شعار دمج الجاليات الإسلامية في

المجتمعات الغربية، بإصدار الفتاوى التي يتحكم فيها الواقع ولو خالفت ما هو معلوم من الدين بالضرورة، مثل البقاء على العلاقة الزوجية بين من أسلمت وبقي زوجها على الكفر، بحجة حماية الأسرة من التفكك، واحتضان الأطفال من الضياع، أما إن كان الخطاب موجهاً للكافرين، فإنه وبدل دعوتهم للدخول في الإسلام، فإن الحفاظ على مشاعر الكفر عندهم غاية نبيلة، والبحث عن قواسم مشتركة هدف منشود، إلى درجة التحرّج من نعت الكافرين بالكفر والاكتفاء بتسميتهم بغير المسلمين.

openkandl.com